يستعمل في هذا الموضع عطشان ولا ظمآن). وابن رشيق في هذا يلغي من الآية الكريمة كل قيمة جمالية ـ دون أن يعلم ـ لأن اللجوء إلى (مستعمل العادة) يجعل التركيب الدلالي هنا عادياً وتقليدياً، بينما الأمر على عكس ذلك، لأننا لسنا أمام مثال معزول ولكننا أمام مشكلة بيانية (جمالية) تستدعي منا موقفاً نظرياً لحلها، ولا ريب أن مفهوم الرجل البغدادي كان أعمق من مفهوم ابن رشيق، وذلك على المستوى النظري. لأن ابن رشيق لم يفعل سوى الاحتكام إلى (المعنى) لا كأساس نظري كما فعل البغدادي، ولكن كردة فعل تشرح وتبرر دون أن تقنن ـ وعندما يشرح فهو يعتمد على (قول العلماء) كأساس لشرح معنى اللذة، كما أنه يستند على (مستعمل العادة) في شرحه للآية الكريمة. وهو بهذا يبرر النص تبريراً معنوياً معتمداً على براهين من خارج النص ويغفل عن البعد الجمالي ولا يسعى لاستكناه امكانات النص الجمالية. ولو فطن إلى مزالق صنيعه هذا لعلم أنه قد جنى على النص بينما كان يقصد حمايته. ولقد رأينا كيف جعل الآية مجرد محاكاة للمستعمل. كما أن شرحه لأبيات امرىء القيس إنما قام على محاولة لكشف (الجمع بين الشيء وشكله)، ومن هنا جعل البيت الأول يقوم على الجمع بين لذتين (الصيد والكاعب) والبيت الثاني يجمع بين الفتوة والشجاعة.

أما الجرجاني فإن يلجأ إلى مقومات النص الماثلة أمامه ويسعى إلى توصيفها. فهو لا يجلب إلى النص براهين أجنبية عليه ليبرر بها النص كما فعل ابن رشيق. ولا يتعسف على حرمة النص فيعيد صياغته بناء على فهمه النظري الخاص كما فعل المنتخب، ولكنه إذا ما بهره النص سعى إلى استكناه بواعث الجمال والشاعرية فيه،